

البلاد المعنيين فلم يؤخذ أبداً بعين الاعتبار .

بهذه الكلمات البسيطة يلخص رودنسون كل المشكلة ولذلك فإنه يعلن بكل وضوح عداءه — وعداء كل المجموعة التي ساهمت في وضع هذا الكتاب — للايديولوجية والحركة الصهيونية ، هذا العداء الذي لم ينشأ بسبب التعليقات التي أعطاهها أصلاً لجذور الصراع العربي — الاسرائيلي بل أيضاً بسبب التحالفات أو الاساليب التي سعت وراءها أو اتبعتها والتي في النهاية تنجم في معظم الاحيان عن مشروعها الاساسي .

الا ان هذا العداء لا يتضمن بالضرورة عداء مماثلاً للشعب الاسرائيلي وان الحل الوحيد الممكن يكمن في تظلي اسرائيل عن طابعها الاستعماري وتتجاوز مع المعنيين المباشرين بالتفضية للتوصل الى صيغة من التعايش على اساس من المساواة التامة . وهنا يشرح رودنسون آراءه المعروفة حول هذا الموضوع والتي لخصها في كتاباته العديدة حول قضية الصراع العربي الاسرائيلي وتخص منها بالذكر « اسرائيل واقع استعماري » (مجلة الازمنة الحديثة . عدد خاص . ايار ١٩٦٧) و« اسرائيل والرفض العربي » . الا ان ما يمكننا ان نثريه حول ما قاله رودنسون بالذات هو ان ما ينادي به هو في النهاية قريب نوعاً ما من أطروحات المقاومة الفلسطينية حول الدولة الديمقراطية . الا ان المشكلة ليست بالنوايا الحسنة ولا بالتصريحات المتناقضة بل في السؤال التالي : ما العمل لتجسيد هذه الامل والمطامح ؟ انها حقاً لا تتحقق برغبة ذاتية من اسرائيل بل ان نتيجة الصراع هي التي تحدد مصر هذه الامل اي بمعنى آخر الهزيمة المادية والايديولوجية للصهيونية . وكل كلام آخر في رأينا لا يتعدى كونه كلاماً رومانسياً مثالياً يشكر اصحابه عليه الا انه في عالم الواقع لا يغير شيئاً . ان تحول ميزان القوى لصالح القوى التقدمية العربية والعالمية كفيلاً بتحقيق السلام الحقيقي القائم على انقراض الصهيونية ومؤسساتها .

بعد هذه المقدمة التمهيدية للكتاب يجد القارئ مجموعة هامة من الوثائق المتعلقة بالصراع العربي — الاسرائيلي ما بين حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب اكتوبر ١٩٧٣ ومن بينها بعض الفقرات من نظام « مجموعة البحث والعمل لتسوية المشكلة الفلسطينية » « G.R.A.P.P. » والنداء الذي وجهه

معروفة) ويستمر تعريف رودنسون بهذه المجموعة بحذر شديد فهي ليست مجموعة تعطي تأييداً غير مشروط لأي احد كان (أي للعرب) كما انها لا تنادي بإبادة اي شعب . « ولكن الكثيرين من بيننا يشعرون بتعاطف خاص ، وبدرجات متفاوتة ، كل حسب طباعه ، مع الشعب العربي » . « نحن مع انصاف العرب ... ولكننا لا ندعو الى ارتكاب ظلم آخر في سبيل رد العدالة اليهم ... » . « نحن مع الحكومات العربية بقدر ما تعمل هذه الحكومات على تخليص شعوبها من التخلف والتبعية ... » .

وهكذا بعد سلسلة طويلة من الجمل التمهيدية التي تهدف بشكل أو بآخر الى اقتناع القارئ الغربي بحسن نية المجموعة تجاه اليهود او بمعنى أدق لانتزاع صك براءة من اية ميول او اتجاهات لاسامية قد يتهمون بها يدخل رودنسون في صلب المشكلة فيقول بأن تطلمات اليهود جديرة بالاحترام وينبغي ان يدافع عنها بقوة عندما تسمى الى أهداف لا يجوز ان يحرم منها أي انسان : أعني الحرية ، المساواة في الحقوق والفرص ، الكرامة ... ولكن ليس هناك اي مبرر لتحويل متطلبات كما يفهمها المرء او حتى متطلباته الفردية الى قانون ملزم للآخرين . ان كل طموح ينبغي ان يجد حدوده عند طموحات الآخرين عندما تكون مشروعة . ثم يقول بأن من الممكن ان تناقش بشكل تجريدي فوائد أو مساوئ ان يكون لليهود دولة تضم أولئك الذين يريدون ان ينشئوا أمة جديدة يكون بمقدورهم ان يخرطوا فيها بلء حريتهم . ويعطي رودنسون كمثل للتجربة السوفياتية في هذا المجال حين أنشأوا دولة لليهود في بروبوجان ولكن بدون نجاح واضح . الا ان « اختيار » اليهود وقع على وطن يسكنه أصحابه وبالضبط في فلسطين التي لم تكن في تلك الحقبة مجموعة من المستعمرات والمحاري كما تروج لذلك الدعاية الصهيونية . « لقد كانت فلسطين بدون أدنى شك على الاطلاق ووطناً يسكنه العرب تحت حكم العثمانيين . وبالطبع فان المنطق الاكثر بدهاة يدفعنا الى القبول بأنه ليست هناك سوى وسيلتين لتحويل هذا البلد العربي الى بلد يهودي : اما طرد السكان الاصليين واما تحويلهم الى مواطنين من الدرجة الثانية . وأياً كانت الظروف فان هذه هي في الواقع الوسائل التي استعملت في هذا السبيل . اما رأي أهل